

أجمل الحكايات

١

اعترافات عصفور



تأليف
د. فتحى الصنفاوى

رسوم
منال بدران



دار المعارف

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الصنفاوى ، فتحى
اعترافات عصفور / تأليف فتحى الصنفاوى ؛
رسوم منال بدران — القاهرة: دار المعارف ، ٢٠٠٦
٣٦ ص ؛ ٢٤ سم — (أجمل الحكايات ؛ ١)
تدمك : ٩ — ٦٩٨٥ — ٠٢ — ٩٧٧
١ — القصص العربية.
٢ — قصص الأطفال.
(أ) بدران ، منال (رسام)
(ب) العنوان

ديوى ٨١٣,٠٢

رقم الإيداع ١٨٧١٦/ ٢٠٠٦ ٧/٢٠٠٦/٣٢

تصميم الغلاف: شريفة أبو سيف

تنفيذ المتن والغلاف
بالمركز الالكترونى
دار المعارف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة – ج . م . ع
هاتف: ٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس: ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

طَارَ (الهدهد) إلى عُشّ جارهِ وَصَدِيقهِ عُصفور الَّذى يُقيمُ بالشـجرةِ المقَابلــة، لعلَّهُ يجدهُ هناكَ ليتبادلَ معــهُ أطرافَ الحدِيث، وليُفضىَ إليْهِ بمَا يُلاقيه مِنْ جَارتهِ الحِدأَةُ سَيئةُ الخُلُق، التَّى اعتادتْ خَطْفَ طعَامهم وَطعَام الصِّغارِ بعدَ أَنْ تعبُوا فِى جمعهِ طوالَ اليوم، كما تُقدمُ أحيانًا على خطفِ الصغار أَنفسهِمْ، وبالطَّبع لاَ يستطيعُ الهدهدُ هَذَا الطائرُ الرقيقُ مُقاومتهَا، والوقُوفَ فِى وجههَا ومجابهتهَا دفاعًا عَنْ عُشِّه وَصَغَاره..

ولحُسْــنِ الحظِّ.. وجدَ الهدهدُ صديقَه عُصفور واقفًا عَلَى فرعٍ قريبٍ مِنْ عُشِّــهِ يراقبُ صغَــاره باهْتمَام، حيّاهُ وألقَى عَليه السَّــلام، بينمَا قابلَهُ عُصْفور بترْحَابٍ شَديدٍ، وطلَّبَ منهُ أنْ يجلسَ إلى جواره بعدَ أَنْ تبادلاَ التحيَّةَ، والسؤالَ عَنِ الحالِ وعَنِ الزَّوجةِ والصِّغار، ثُمَّ سَادت بينهمَا برهةُ مِنَ الصَّمتِ، سكَتَ فيهَا (الهدهدُ) قليلاً كأنمَا يستجمعُ أحزانَه ومشــاعرَ القلقِ التِّى تنتابُه، ولكنَّ عصفورَ أســرعَ يَسْأله عمَّا يحزنُهُ ويقلقُ بَالهُ قائلاً:

مَالــكْ يَا عَزيــزى (هدهد) مَاذَا حَــلَّ بكَ وماذَا أصابــك، هَلْ أنتَ مَريــض..؟ إنِّى أجــدكَ مُعْتلّ المــزَاج فِى الأَيَّام الأَخــيرةِ.. افْضِ إلَّى يَا صَدِيقى بمَا يشــغلكَ لعلىِّ أُسَــاعدكَ، أو أجدُ لمشاكلكَ حَلاً يريحُكَ إنْ شــاءَ الله، هيا.. هيَّا أَخبرْنِى وَلاَ تُخْفى عَنِّى شــيئًا فنحنُ أَصْدِقاء وَجيرَان عَلَىَ كلِّ حَال..



– لقد فَاضَ بى الكيلُ يا عزيزى عُصفور، ولم أعُدْ أحتملُ الحماقاتِ والتصرفـاتِ العدوانيــةِ لجارتنَا الحدَأة، وأعتقـدُ أن الواجبَ يُحتمُ عليها حُسْــنَ معاملةِ جيرانهَا، وهو مَـا تقضِى به حقوقُ الجارِ قولاً وعملاً، أخبرنِى مِنْ فضلكَ مَاذَا تفعلُ لو كنتَ مَكَانِى؟.

فَكَّرَ عصفورُ قليلاً.. ثُمَّ بَادرهُ قائلاً:

– أرى يَا عزيزى (الهدهد) أنْ تشـكوهَا إلى النِّسْـرِ ملكِ الطُّيور، وأعتقدُ أنه سـيأمرُ فورًا بالتحقيقِ فى هــذَا الموضُوع، فهو ملكٌ عَادِلٌ يكـرهُ الظلمَ والعدوان، ولا يرضَى مُطلقـا أَنْ يعتدِىَ أحدٌ فِى مَمْلكتهِ أَوْ عَلَى جيرانِهِ مِنَ الطيورِ أو الحيواناتِ وغيرها، وسـيأمرهَا بالكفِّ عن رَذَائلهَا وأَن تحسِــن إلَى جيرانهَا، وإلاَّ سـينالهَا أشدَّ العقاب ثُمَّ تُطـرد بعيــدًا إلى المناطقِ النَّائيــةِ، حيثُ تقيمُ الطيورُ الشَّرسـةُ مِنْ أقرانهَا ومنْ هُمْ عَلَى شَاكِلتهَا.

رَدَّ (الهدهد) بشىءٍ مِنَ الرضَا والاطمئْنَان:

– فعلاً يا صَديقى رأيكَ سـديدٌ.. ولكنِّى كَمَا تعرفُ لسـتُ فصيحًا ولا مُتحدثًا لبقًا مثلكَ، وأخشَــى مُوَاجهةَ الملكِ فأرتعدُ أمامهُ وأتلعثمُ وترتعدُ مَفَاصلى، وَأَجدُ نَفْســى فِى موقفٍ لا أُحسَدُ عليْهِ، لِذَا أَرى أَنْ تتفضَّلَ وتتكرَّم بمسَــاعدتِى، وَأَنْ تكتبَ لِى بخطكَ وأسـلوبكَ الجميلَ شـكوَى أُقدِّمهَا للملكِ، تشرحُ له فيهَا مَا أُعَانيهِ مـنْ تصرّفاتِ تلكَ الجَارَةِ اللَّئيمَةِ، فأنَا للأسفِ أجهلُ القراءَةَ والكتابةَ.. و ..

قَاطعهُ عصفورُ بسرُعةٍ قائلاً:

– وَلكنْ يُخجلنى يا صَدَيقِى أَنْ أقولَ لكَ إنىِّ أيضًا لاَ..

– (عصفور).. أنتَ يا زَوْجِى عُصفور.. تعالَ هنَا فِى الحَال.

صرخَتْ عصفـورةُ زوجَةِ عُصفور بحدّةٍ كَىْ تُقاطعَـهُ قبلَ أنْ يكمل حديثَهُ، بعد أنْ تركتْ عشّهَا وجَاءتْ تَسترِقُ السمعَ لتعرفَ ما يدورُ بـينَ زوجِهَا عصفورُ وصَدِيقُهُ، ولكـنَّ (الهدهد) عاودَ الكلامَ موجهًا حَديثَهُ إلىَ عُصْفور:

– أرجوكَ لا تَخْذلنى واكتبْ لى الشـكْوَى منْ فضلكَ، ولنْ أنسَى لكَ هذهِ المكْرمةَ أبدًا.

تدخّلت عصفورةُ وأسـرعَت تقولُ لزوجِهَا قبـلَ أنْ يردَّ عَلى طلبِ صَدِيقه:

– نَعَـمْ نعمْ، اكتبْ لهُ شَـكْوى بأسـلوبكَ العَـذْب المُؤَثر، وأخوكَ (الهدهد) سَيَسُـرّه ذلكَ وسـيأتِى لك بهديَّةٍ عظيمـةٍ.. أليسَ كذلك يا جَارنَا العزيز ؟!

هَـزَّ الهدهدُ رأسَـه موافقًا، ولكـنَّ عصفورَ صاحَ غاضبًـا فى وجْهِ زوجته:

– لاَ لا .. لَـن أقبـلَ أيةَ هدَايا، وأنتِ تعلمينَ جيـدًا أنىِّ لاَ أكتبُ الشَّكَاوى وَلاَ أ....

أسـرعَتْ عصفورةُ تجُرُّ زوجهَا بعيدًا عنِ (الهدهدِ) وانهالتْ عليهِ بكلماتهَا اللاَّذعَةِ:

- اسـكتْ يَا زوْجِـي.. أيُعجبكَ مَا نحنُ فيهِ مِنْ فقـرٍ وبُؤْسٍ، لقد كبرنَا وأصبحنَا لا نقوَى عَلَى الطَّيرانِ للبحثِ عَنْ غذائنَا وغذاءَ صغارِنَا طِوَال اليَوْم، اصمُت ودعْنِى أتصرّفُ بطريقتِى لأحصُلَ عَلَى مَا يكفينَا، وَلَو اضطُرِرْنَا للكذبِ واستغلاَلِ الآخرينَ أحيانًا..

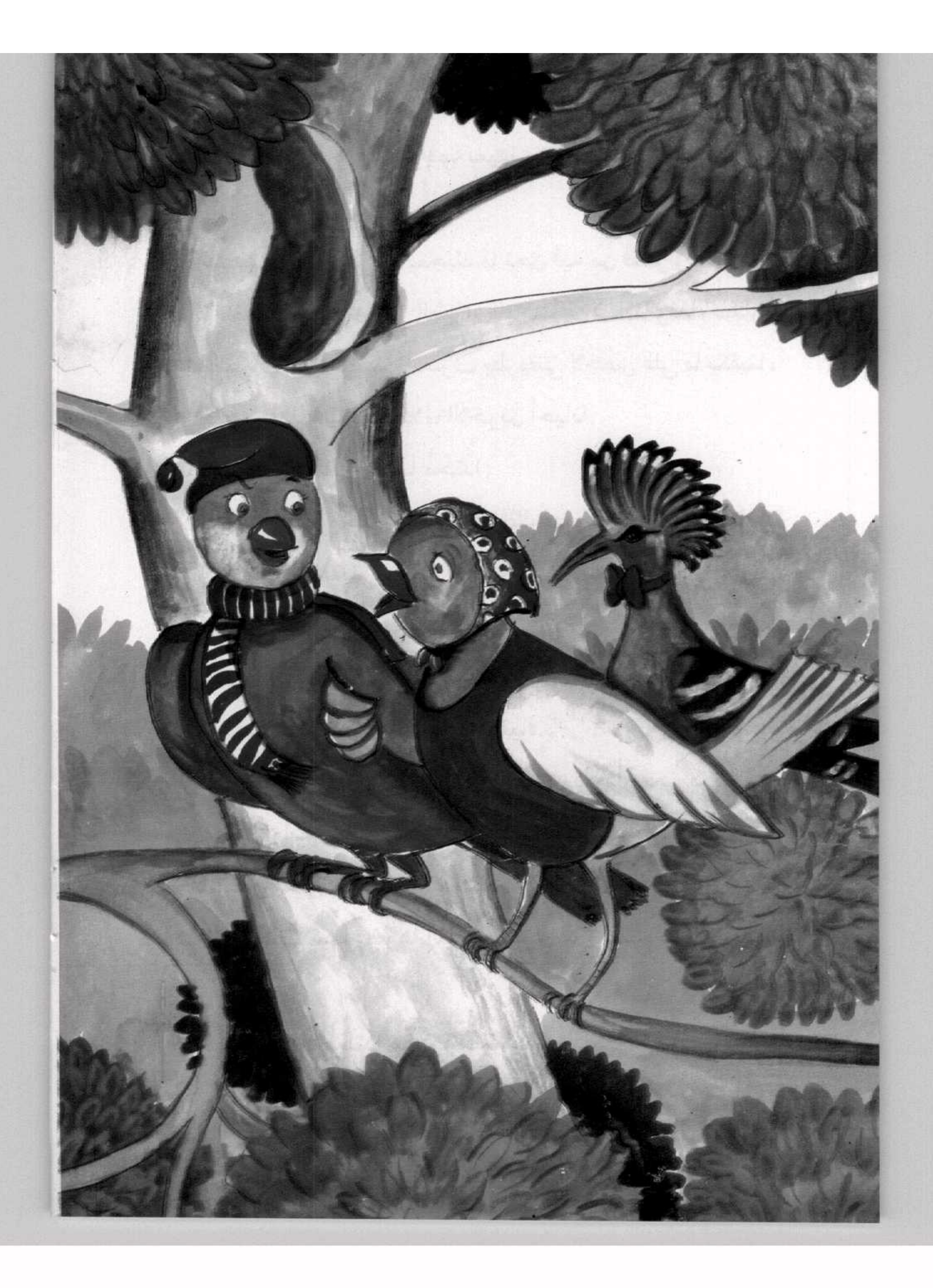
انفجَرَ فيهَا عصفورُ غَاضبًا مُحْتدًّا:

- أيتهَا العصفورةُ اللئيمَةُ.. أنَا لَا أوافقكِ أبدًا عَلَى اتِّباع هذَا الأسلوبِ الوَضيع، ولَنْ آكلَ لُقمتِى وأغذِّى صِغَارى إلاَّ مِنْ عمَلى وجُهدِى بشرفٍ وَأمَانَـةٍ.. كيفَ أكتبُ لهُ شَـكوى وَأنَا لاَ أقـرأُ وَلاَ أكتبُ..؟ أرجوكِ لا تَزيدِى خَجَلى مِنْ نفسِـى ومِـنَ الآخرِينَ.. اتَّقى الله واعْمَلى صَالحًا ولا تَخْذلينى فَقْدَ نقعُ فيمَا لاَ يحمدُ عُقْبَاه..

ردَّتْ عصفورةُ دونَ اهتمام برأْى زوجهَا، ودونَ أن تَعِىَ مَا تقُول:

- وَلَـوْ.. ولَـو، سـأخبرُ الجميعَ بأنكَ تقـرأُ وتكتـبُ وتفهمُ لغةَ الطلاسـمِ والتَّعاويذِ.. وَمَا عليكَ سِـوَى نقشِ بعضِ (الخرابيش) على قطعِ الورقِ التى سـأحضرهَا إليكَ، وَسَترى مَا سنُصبحُ عليْهِ مِنْ ثَرَاءٍ وغِنَى و..

قاطعهَا عصفورُ مُحْتَدًّا صَارِخًا بانفعالٍ شديدٍ:



– لاَ لاَ.. هذَا احتيالٌ عَلَى الغير لاَ يقبلهُ أصحَابُ الأخلاقِ والخصالِ الكريمَةِ، ولا يقرّه الشرعُ ولا العرفُ ولاَ القانونُ، وَهِىَ أمورٌ لاَ يزاولهَا سِوَى بعضِ البشرِ غيرِ الأسْوياء أحيانًا.. أَمَّا أَنَا وغيرى مِنَ الشرفاءِ فنتعففُ ونترفَّعُ عَنْ ذلكَ تمامًا.

تركَتْ عصفورةُ زوجَهَا يَغْلى غيظًا وحنقًا مِنْ كلماتهَا وتصرفاتِهَا الحَمْقاء الشرِّيرة، وأسرعتْ إلى جارهمَا هدهدُ الواقفُ بعيدًا ينتظرُ تحاوُرهمَا الصَّارخ فِى قلقٍ، بينمَا أسْرَعت عصفورةُ إلى حيثُ ينتظرُ، ثم توجهَّت إليْهِ بالحديثِ قائلةً لَهُ تُطمْئنه:

– اذْهَب الآن يا جَارنا العزيزَ، وإن شاء الله سَأقنعُ زوجِى ليكتبَ لك الشَّكْوَى الَّتِى تطلبهَا، أَوْ إِنْ شئتَ يكتبُ لك – تَعْويذَةً أو (حِجابًا) مُجَرّبا يقِيكَ شرَّ تلكَ الجَارةِ اللَّعِيَنَةِ.. اذْهب الآن وغدًا ستجدُ ما يسرُّك.

طارَ الهدهدُ إلى عُشِّه حائرًا يَحْكى لزوجتِهِ ما دَارَ بينهُ وبينَ جيرانه، وعلَى الجانبِ الآخر.. كانتْ هُناك خنَاقة حَاميَة بينَ عُصفورٍ وزوجَتِه عُصفُورة.. هِىَ تُحاولُ أَنْ تُجبرَه عَلَى إتمام فكرتهَا الخَبيثة، والادعاء بأَنْ زوجهَا ضَليعٌ فِى أمورِ الدَّجَلِ والشَّعْوذة، وَأَنهُ يُجيدُ كتابةَ وقراءَةَ الطَّلاسم والتعاويذِ السِّحرية، فى حينَ يُصرُّ عصفورُ علَى عدمِ تنفيذِ مَا يدورُ برأسهَا، ورفْضِ هذِه الفكرةَ من أساسهَا.

ولكنْ.. طَارت عصفورةُ لتبحثَ هنَا وهناكَ عَنْ ورقَةٍ بيضَاءَ صَغِيرة، وَمَا لبِثَتْ أَنْ عادتْ بِهَا فرحَة، وأرغمتْهُ علَى الذَّهابِ معهَا إلى بستانٍ قريبٍ، وهناكَ اتجهَا إلى شجرةِ رُمَّان - حيثُ اختارتْ ثمرةً ناضجةً جدًّا، وأصرَّت علَى أَنْ يدخلَ رجلَه بداخلهَا بعدَ أنْ أحْدثتْ بِهَا ثقبًا صغيرًا، وأمرَتْهُ أَنْ يُمرِّرهَا علىَ الورقةِ لتتركَ عليهَا بعضَ (الخرابيشِ) كأنها مَكْتوبةٌ بالحبرِ الأحمرِ.. ثُمَّ طَوَتها جيدًا.

فِى صباحِ اليومِ التَّالِى.. ذهبَ الهدهدُ مبكرًا إلى حيثُ عُش صديقِهِ عُصفور؛ ليسْأله عَمَّا اتفقَا عليْهِ بالأمسِ، ومَا إنْ لمحَتْهُ عصفورةُ حتَّى أسْرعتْ نحوهُ قبلَ أَنْ يصِلَ إلى زوجهَا، وأخبرتهُ بأنهمَا أعدَّا لهُ خصِّيصًا - بعدَ مجهودٍ شاقٍّ - تعويذةً عظيمةً، ولولا أنهُ جَارهمَا العَزيز الطيب مَا كَانَا ليطلعَا أحدًا عَلى سِرِّهمَا، وبأَنَّ زوجَهَا عالمٌ فِى أمورِ السِّحْرِ، ولهُ بركاتٌ وكراماتٌ وَخبرتهُ عظيمةٌ فِى هَذَا المجَال.

سلَمت عصفورةُ التعويذةَ إلى الهدهدِ، وَطلبتْ مِنهُ أنْ يُعلِّقهَا عَلَى فرعِ الشَّجرةِ بجوَارِ عُشِّهِ، وَألحَّتْ عليْهِ ألاَّ يُخبر أو يُطلعَ عليهَا أحدًا، وحَذَّرتهُ مِنَ العواقبِ الوخيمَةِ الَّتى قَدْ يسببهَا إفشاؤُه لهذَا السِّرِّ، ووعَدته بأنَّ الحدأةَ لَنْ تقتربَ مِنْهُمْ ثانيةً.. وَبالتَّالى لاَ دَاعى لتقديمِ شَكْوى للملكِ بهذَا الخُصُوصِ. فرحَ الهدهدُ كثيرًا بالتَّعويذةِ الَّتى سَيعلِّقهَا بجوَارِ عُشِّهِ، مُعْتقدًا بِأنهَا سَتَحْميهِ من شرورِ الحدأةِ



اللَّئيمَةِ كَمَا أَخبرتْهُ عُصفورةُ..!!، وأسرعَ نحوَ صديقهِ عُصْفور ليتوجَّه إليْهِ بالشكرِ الجزيلِ والدعواتِ الطيبَة، فى حين ظلَّ عصفورُ صامتًا ينظرُ إليه ببرودٍ وبلاَ مبالاَة، ثُمَّ عاد إلىَ عصفورةٍ يشكرهَا هِىَ الأُخرى، ويعدُهَا بهديّةٍ عظيمَةٍ مِنَ الحبوبِ والفواكِهِ إنْ صَدقت التعويذةُ ولم تخيِّب رجَاءه، فأخبرتهُ بأنهَا مُتأكدة تمامًا مِنْ نجاحِهَا فى طرْدِ الحِدأة، فزوجهَا عصفورُ مبروكٌ - سِرُّه بَاتع..!!.

مرّت عدةُ ساعَاتٍ، عادَ بعدهَا الهدهدُ وَهُوَ يحملُ بعضَ الهدايَا الطيِّبة، وأسرعتْ عصفورةُ إلى زوجهَا تُطلِعُه على الخيرِ الَّذِى أتاهُم عندمَا استغلَّتْ دَهَاءهَا، وأقسمتْ لهُ إنْ رفضَ كتابةَ تَعَاويذٍ وأحْجِبَةٍ غيرهَا.. أَوْ حاولَ رفضَ الهدايَا الَّتِى سيُحضرهَا إليْهِم الآخرونَ مِنَ السُّذَّج بعدَ أنْ تُشيعَ بِنفسهَا حكايَةَ بركَاتِ زوجهَا بينَ بقيةِ الجيرانِ، أَنْ تتركَ له العشَّ والصغارَ وترحلَ عنهُ إلىَ الأَبدِ، فقدْ سَئِمَت العيش معهُ فِى فقرٍ وضَنْكٍ كَمَا تدَّعِى.. وللأَسفِ اضطرَّ عصفورُ تحتَ وطأةِ تهديدهَا إلى الموافقةِ عَلَى مَضضٍ، ولكنَّهُ يُحمِّلُهَا المسئولية وحدَهَا إنْ حدثَ لهُ مكروهٌ بسببِ تصرّفاتهَا المشِينَة تلكَ.

مَرَّ يومَانِ كَاملاَن.. ظلَّ فيهمَا الهدهدُ قابعًا فى مكَانِه بجوارِ عُشّه منتظرًا يترقّبُ، وإذَا بِهِ يُفاجأُ بالحِدأةِ تجمعُ بعضَ حاجياتهَا



وتذهبُ بعيدًا، ثُمَّ رجعت ثانيةً لتحملَ بقيةَ أغراضهَا وترحلَ بعيدًا عنهُــمْ.. الحمدُ لله.. (بركاتك يا ســيدنَا عُصفور)، صاحَ الهدهدُ وَهُوَ يطيرُ فرحًا وسرورًا، وَأسرعَ إلى زوجتهِ ليخبرهَا بهذَا النبأ السَّعيد، وأنَّ تعويــذةَ جَــاره المبروك عُصفــور قَدْ أفلحَت، وصدقَــتْ تأكيداتُ ووعــودُ زوجته عُصْفورة، وَهرَعَ إلى عُصفور فَرحًا ســعيدًا يزفُّ إليْهِ تلكَ البشــرَى السَّــعيدة، وهُوَ لاَ يكادُ يصدِّق نفسَـــه وَمَا رَأتهُ عيناه، وأخذَ يُنَاديه بأعْلى صَوْته ليسمعَ الجميعُ وهُوَ يقولُ:

– أبشِــرْ يا عَزيــزى الطيِّب عُصفور.. لقد رحَلَــت عنَّا تلكَ الجارةُ اللعينةُ والحمدُ لله، لَقَدْ أفلحَت تعويذتُكَ السحْريةُ يَا عَزيزى صَاحب الــبركَات، والله لأحتفلُ بَــك وأحتفلُ مع جيرَانِــى بنجاحِكَ الباهر وهَذِه المناسبةُ السَّارة، وَسَــآتى لكُمْ بهديَّةٍ قيِّمةٍ كَمَا وَعدت.. وأُقسمُ أنْ أُخبرَ الجميعَ بكرامَاتكَ ومُعْجِزَاتك.. بركَاتك يَا سيدى.. بَركَاتك يَا عُصْفور..!!

وَبسرعَةٍ ردَّ عليْهِ عصفورُ بصوتٍ حزينٍ مليءٍ بالخجلِ وَالحيَاء:

– شــكرًا لكَ والحمدُ لله عَلَى سلامتكَ وسَلامةَ صِغَاركَ، ولكنْ.. فِى الحقيقةِ أنَا لَمْ أَ..

أســرعَتْ زوجَتُه عُصفــورةُ تُقَاطِعه، ولم تتركْ لــه فرصةً لإكمالِ حَدِيثه وقالتْ للهدْهُد:

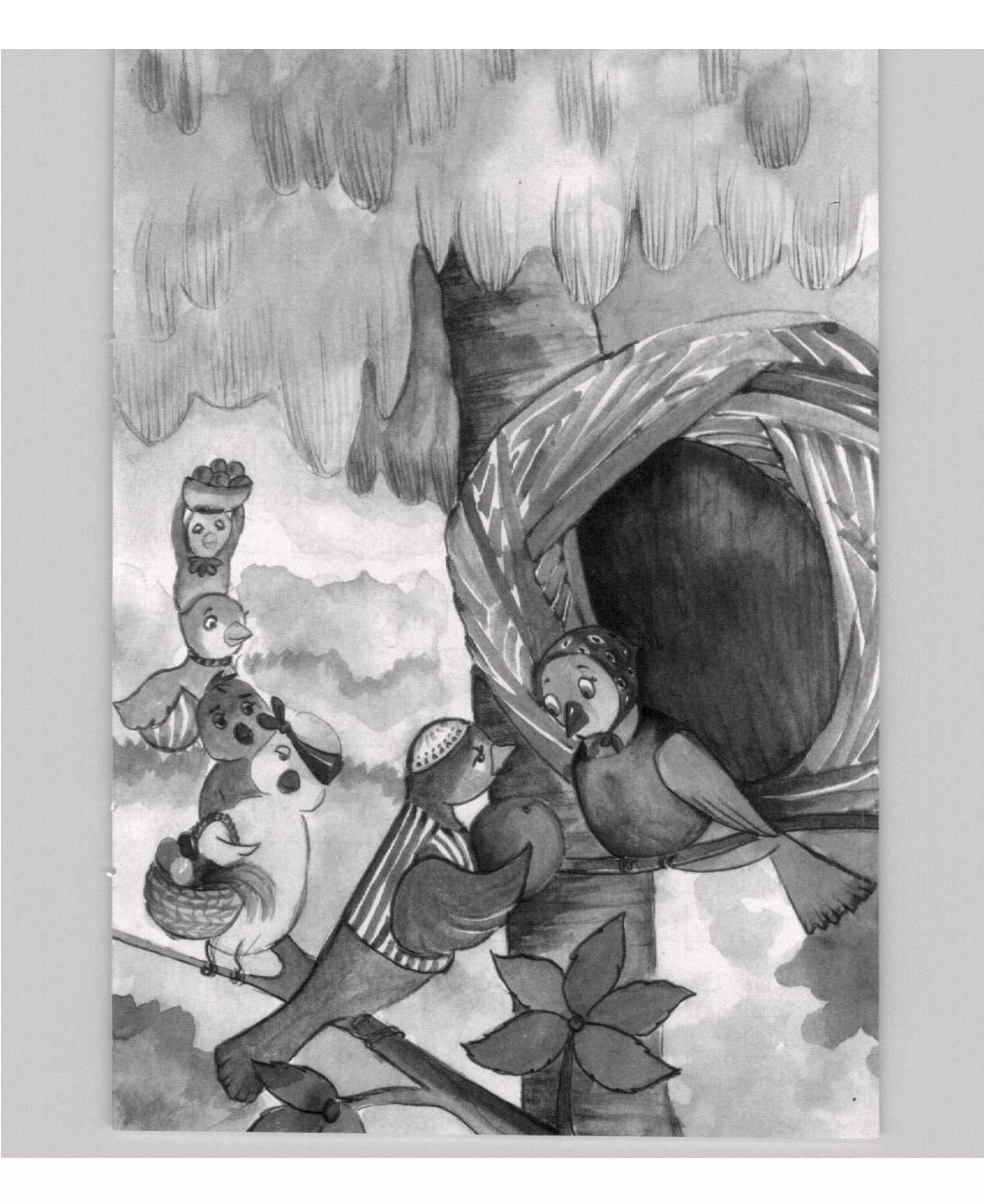
- الحمـدُ لله.. فقدْ تمَّ المُرادُ مِنْ ربِّ العبـادِ ببركةِ زوجى عُصفور وكتابَاته الرَّائعة، لا تتعجَّبْ يا أَخِى الهدْهُد..

ألمْ أخْبِـركَ يا جارنَا العزِيز بأَنَّ عصفورَ متَبحِّرٌ وضليعٌ فِى الكتابةِ وفكِّ رمـوزِ لغةِ التعاويذِ والطَّلاسِـم، عَلَى كلٍّ.. نحـنُ فِى خِدْمتكمْ وخدمةِ مَنْ يطلبُ مشـورتنَا وَمسَـاعداتنَا، ونحنُ على استعدادٍ دائم لتلبيةِ طلباتِكُم وحلّ مَشَـاكلكم المستعصِيَة، ألف مبروك لنا جميعًا..

شكرًا، هيَّا يَا زوجِى لنطعمَ صغارنَا ونستَريحَ فِى عُشِّنَا.

جَـرَّتْ عُصفـورةُ زوجَهَا الذِى لم ينطِقْ لسـانُه بكلمةٍ واحدةٍ نحوَ عشّهمَا، بينمَا ظلَّ صامتًا ينظرُ حولهُ كمَا لَوْ كانَ مُخدَّرًا، وهو لا يعبأُ ولاَ يعِى بكلماتِ الشكرِ والثناءِ والتحيةِ التى تُلقى إليهِ من جيرانهِ، بَـلِ انتابتْهُ ثورةٌ منَ الغضبِ والندم عَلَى مَا أجبرتْهُ عليْهِ زوجتُه مِنْ أفعالٍ لا يرتضيها ولا يقرُّها، وجلسَ حزينًا يفكرُ فِى طريقةٍ يستطيعُ بها الحدُّ مِنْ تسـلُّط زوجتِـه، ومَا هِىَ إلاَّ دَقائق حتَّى انتشَـر خبرُ معجزةِ عُصفور فِى كلِّ مكَان.

لَمْ يكـدْ ينتصفُ النهارُ حتَّـى انهالتْ عليْهِ الطلبـاتُ والزياراتُ والهدايَـا، ولكنَّـهُ كانَ يرفـضُ تلقّيهَـا تواضعًـا وحيـاءً، محاولاً توضيحَ الحقيقَـة والاعـترافِ بأنـه لا يعرفُ القـراءةَ ولاَ الكتابةَ، وأنَّ ما يخُطُّـه عَلَى الورقِ هُوَ مجردَ شَـخابِيط - لا معنَى لهَا.. ولكنَّ



زوجتَه السـليطةَ تحـولُ - دائمًا - بينه وبـينَ زُوّاره فلاَ تتركْ لهُ فرصةً للكلام والإفضاءِ بمَا عِنده.. بل تسـبقه هى بأحاديثهَا المُضَلِّلَةِ وأكاذيبهَـا البَاطلَـةِ وتُعلن أمامَ جيرانهـا وزوّارهَـا أنَّ زوجَهَا مِنْ فـرطِ خَجَله وتواضُعِـهِ يَدّعى الأميّة، بينما كِتاباتـه وكلِماته تصنعُ المعجـزاتِ كَمَا عَلِمُوا، فَقَطْ أجزِلُوا لهُ العطاءَ وسـتجدُوا منه - دائمًا - مَا يَسُرُّكُم.

ذاعَ صيـتُ عصفور.. وانتشـرتْ أخبارُه، حتَّى وصلَت إلى مسَـامع صقر مِنْ حُرّاسِ الملكِ، فأسـرعَ إلَى حيثُ الشَّجرة الَّتِى يسكنُ عصفور فِى أحدِ أعشاشـهَا؛ ليسـتطلعَ ويتحَرَّى الأمرَ، وَقبلَ أنْ يبدأَ الصقرُ بالكلامِ.. تلقَّفتهُ عصفورةُ تسألُه عَنْ مُشْكلتِه، وتؤكدُ لهُ مَا سمعهُ مِنْ مُعْجـزات وكراماتِ زوجَها المبجّل عصفور، وعلى الفورِ أخبرهَا بأَنْ زوجَتَه اختفتْ منذُ عدةِ أيام وَلَمْ تَعُدْ إلَى عُشِّهَا، وأنهُ قلقٌ عليْهَا وَعَلَى صِغَارِهَا ويخْشَـى أَنْ يكونَ قَدْ أصابهَا مَكْروهٌ.. خاصَّة بعد أنْ فشلتْ جهودُه فِى البحثِ عنهَا فِى كلٍّ مكانٍ دونَ جَدْوى.. طَمْأنتهُ عُصفورة وطيّبتْ خاطرَه وَأخبرتهُ أَنْ لا دَاعى للقلقِ، فسـيعِدّ له زوجُهَا - إنْ شَـاء الله - تعويذةً لا تخيبُ أبدًا، تأتِـى بهَا أو تَدلُّه عَلَى مصيرهَا، وعليـهِ أَنْ يعلّقهَا بجوارِ عُشّـه كَمَا فعلَ الآخرونَ، شـكرهَا الصقرُ عَلَى حُسْـنِ اسـتقبالهَا له، ووعدهَا بهديَّةٍ عظيمةٍ إنْ عادتْ زوجتُه



أو اطمأنَّ عَلَى سَـلامتهَا، وأنه سـيرفعُ من شأنه بين جميعِ الطُّيور، خاصَّة بين معارفهِ ورؤسَائه بلْ وعندَ الملكِ أيضًا..

فِـى البدايةِ كالعَادة.. رَفَـضَ عُصفور كتابةَ أَوْ عمـلَ أيةِ تعَاويذ، وَعَـدم التَّمادِى فِى أكاذِيبَ وإدّعـاءات زَوْجته البَاطِلَة، بَلْ وأخبرهَا مُحذرًا أَنَّ مَا حدثَ للحِدأةِ هو مجردُ صدفةٍ حدثتْ فِى الوقتِ المناسبِ وأنَّ الصـدفَ لا تتكررُ عادةً، وإنْ فشِـلَ مرةً أو اكتَشـفُوا أنهُ مجردُ دجّال مُحْتال، فسـيكونُ مصيرهُ ومصيرهَا ومصـيُر صِغَارهمَا بالتالِى مُفْجعًا، ولكنها بتهديداتهَا ولسانهَا السَّليط أجبَرتهُ عَلَى عملِ بعضِ التَّعَاويذ.

وَيَـا للعجب.. فبمحْضِ الصدفةِ كانتْ هـذِه المفاجأةُ الجديدةُ..!! فقد عـادَ الصقـرُ منْ عَمَله ليجـدَ زوجتَه فِى العُـش، وَأخبرتهُ أنهَا أُصيبتْ برشّةٍ أطلقهَا عليهَا صبىٌّ يلْهُو - عابثًا - ببندقيةِ صيدٍ بدونِ داعٍ سَامحه الله.. وكَادت الطلقةُ أَنْ تتسببَ فِى مقتلهَا ثُمَّ موْتِ أطفالهَا جوعا، وَلكنْ.. الحمدُ لله كانت الإصابةُ سَـطحيّة، ولكنها أعْجَزَتها عـنِ الطيرانِ لفترةٍ كَمنتْ فيهَا بمكانٍ أمينٍ حتَّى اسـتطَاعتِ الطَّيرانَ والعودةَ سَالمة.

طار الصقرُ فرحًا.. وهرعَ فِى مظاهرةٍ حاشدةٍ مِنَ الطُّيورِ والحيواناتِ الصَّديقة إِلَى عُش السَّيد عصفور وهُوَ يصيحُ مُناديًا:

- يا سيدنا عصفور بركَاتك.. بركاتك، ياه.. هذه والله مُعجزة، لقدْ عَادت زوجَتى بعدَ أنْ كادَ صغارى يموتـونَ جوعًا، وكدتُ أُهلك أنَا أيضًا حُزنًا عليهَا، جزاكَ الله خيرًا وأعانكَ عَلَى الخيرِ دائمًا، شكرًا.. شكرًا..

وقفـتْ عصفورةُ تُغردُ وتصفِّر فرحًا بِمَا سـيعودَ عليهَـا مِنْ فوائدَ مَاديّـةٍ، بينمَا وقفَ عصفورُ مندهشًـا لتلكَ المصادفَـاتِ البحْتةِ التِى لا يَـدَ لهُ فيهَـا. وانتابتْهُ حالةٌ مِنَ الهيَاج وهُوَ يصيحُ زَاعِقًا ويُقسِـم أنَّـهُ - يا خَلْقُ - لَمْ يفعلْ شـيئًا، وَلكنَّهم لَمْ يُنصِتُوا إليهِ وهُوَ يصرخُ ويقولُ:

- يـا عَـالم يا هُوه.. مِـنْ فَضْلكـم اسـتمعُوا إلىَّ.. والله هذِه مجردُ صدفٍ بَحْتَـةٍ ليسَ لِى فيهَا دَليل. فأنَا جاهـلٌ أُمى لا أعرفُ الكتابةَ ولا القراءةَ، ولا أعلمُ الغيبَ ولا أعرفُ عنِ الماضِى أوِ المستقبلِ أوْ حتَّى عنِ الحاضرِ شـيئًا.. وَمَا يحدثُ هُنَا بينكُم محْض افتراءٍ باطلٍ، يُعدُّ فِى الحقيقـةِ دجلاً أو نصْبا واحتيالاً. وَمَا تدّعـى زوجَتِى أنىِّ أكتُبُه وأعـدُّ لكُم منْ تعاويذَ، ليسَ إلاَّ مجرّد (خَرابيش ونخبشـات) بدونِ معنَـى تعدُّها هِىَ لَكُم، أيّهَا البسـطاءُ الطيبونَ السّـذّج، صَدّقونى.. صَدّقونى.. سَامحكَم الله فأنَا لاَ أكذبُ أبدًا.

عبثًـا.. لم ينصِتْ إليه أحدٌ، وضاع صوتُه وسـطَ صَخب المكانِ الذى

امتلأ بالطُّيورِ والحيواناتِ المحْتشِدَة، وانتابتْ عُصفور حالةٌ مِنَ الحزنِ والاكتئـابِ وتأنيبِ الضَّميرِ، ولَمْ تمضِ عـدةُ أيام أُخرى حتَّى ذاعتْ شهرتُه أكثرَ فأكثرَ كَكَاتبٍ حَاذقٍ لهُ معجزاتٌ وكرامَات، وله أسرارُه وَخبرتـه التِى لا تخيبُ فِى عالمِ التعاويذِ والطلاسمِ السِّحرية..

وبسُــرعة البرقِ وصلت أخبارُ عصفور ومعْجزاته إلى مَسامع النسرِ ملكِ الطُّيور، الذى اسْــتدعَى الصقرَ ليسألَهُ عَنْ حقيقةِ الأمر، فبادرهُ هــذَا بوضعِ صُورةٍ مُبالغ فيهَا أكثر وَأكثر عَنْ كرامَاتِ وأفضالِ المواطنِ السـيد عصفور.. عَلَـى الفورِ أمرَ الملكُ وزيرَهُ كبــيرَ الصقورِ بتكليفِ الحــرّاسِ بإحْضاره - عصفور - مُعززًا مُكرّما لأمرٍ هام، وَمَا أنْ وصلَ الحرَّاسُ إِلَى حيثُ عشّ المواطن عصفور، وطلبُوا منهُ تلبيةَ أمرِ استدعَاء الملكِ لهُ حتَّى أصيبَ بحالةٍ مِنَ الذهولِ والخوفِ وخرَّ مَغْشــيًّا عليْه، أفاقَ عصفورُ بعدهَا عَلَى صوتِ زوجتهِ تَأمرهُ بالاسـتعْدادِ لمقابلةِ الملكِ فورًا، ولكنَّهُ صرخَ فيهَا قائلاً:

- حَسْـبى الله ونعمَ الوكيل.. سأهلَك بسـببكِ يا زَوجَتى الشرِّيرة، وَلكنْ.. أنا أيضًا مَسْــؤولٌ عمَّا سـيحدثُ لِى، فقدْ سمحتُ لكِ - خاضعًا أنْ تُسـيْطرِى عَلــيَّ وتُجْبرِينِي عَلىَ عملِ مَا لاَ أَرضَــى، وعلىّ منَ الآنَ ألاَّ ألومَ إلاَّ نفسِــى، وَقَدْ تركتُكِ تتمادِينَ فِى شُــرورِكِ وَطَمعكِ وَجَشعكِ دونَ رادعٍ.. يــا ربِّ مَاذَا أفعلُ الآن؟.. جــاءكَ الموتُ يَا تاركَ الصَّلاةِ -

كَمَا يقولُ البَشَر – اللهمَّ إنِّى أتوبُ إليكَ فترفَّق بِى وَسَامحْنِى.. يَا ربَّ العالمِينَ.. هَيَّا يَا حُرّاس.. هَيَّا قودُونى إلَى مَهْلكى يَرْحمنِى الله..

قَاطعتْهُ زوجتُهُ وهِىَ تحاولُ تَهْدِئتهُ وبثّ الطُّمَأْنينةَ فِى نفسه:

اصمُتْ يا زوجِى وانتظِرْ حتَّى تَرَى ماذَا يُريدُ الملكُ منكَ ثُمَّ تصرّفْ بتعقُّلٍ.. وَلكنْ تذكّرْ جيدًا.. إذَا سُئلتَ عنْ ذلكَ فادّعِى أنكَ تُجيدُ لغةَ الطلاسِم والتعَاويذِ الَّتى لاَ يفهمهَا سِوَاكَ.. وإذَا طُلب منكَ عمل تعويذةٍ جديدةٍ.. أَقْبِلْ إلَى هنَا لنُعدَّها سويًّا كمَا فعلنَا كلَّ مرّةٍ، تشجعْ يَا زوجِى وتماسَكْ ولا تكنْ جبانًا، وتذكّرْ مَا نحنُ فيهِ الآن منْ خيرٍ وسعةٍ بعدَ أنْ كنّا فُقراء نعيشُ عَلَى الكفافِ وَلاَ نجدُ مَا نُطعمُ بهِ صغارنَا، هيَّا.. هيَّا وسَأدعو الله أنْ يهديكَ لطريقِ الصَّوَاب.

طَارَ عصفورُ بينَ الحُرَّاس وهُوَ يرتجفُ وَأجْنِحتُهُ لاَ تكادُ تَحْمِلُه، حاولَ التَّماسُكَ قدرَ استطَاعتهِ بينمَا ينظرُ الوزيرُ والحراسُ إليهِ بشيءٍ منَ الريبَةِ وهُوَ يحدِّثُ نفسَه قَائلاً:

– سبحانَ الله.. عصفورةُ زوجتِى اللَّئِيمةِ المَاكِرة تدعُو لِى بالسَّلامةِ، عصفورةُ أمُّ البلاءِ تدعُو لِى.. هلْ سيستجيبُ الرحمنُ لدعائِهَا.. لا.. لا.. لا أظُنّ ذلك، يَارب!! ماذَا لَو اكتَشَفَ الملكُ أمرى وعرفُوا الحقيقةَ كلَّهَا وأدركُوا أَنِّى دجَّالٌ جاهلٌ مُحتَال.. يَا رب سَترك، ماذَا لَو اتَهمُونِى باستغلاَلِ السُّذّج مِنَ المخلوقَاتِ.. هلْ سَيُودعُونِى السجنَ

أَمْ سيأمرُ الملكُ بقتْلِى عَلَى الفورِ.. لُطفك يَا رب، اللهمَّ اكتبْ لِى النجاةَ هـذه المرّةَ رحمةً بصغَارِى الضُّعفَـاء، وَالله لَنْ أخضعَ لزوجتِى اللئيمةِ بعدَ ذلكَ، وأُقسِمُ أَنْ أتوبَ إِلَى الله توبةً نَصُوحًا ولنْ أفعلَ إلاَّ الخيرَ أَبدًا مَا حَيِيتُ، يَا رب .. يَا رب..

ظلَّ عصفورُ يُتمتمُ بتلكَ الكلماتِ وهُوَ مُستسلمٌ لقدرِهِ، وعندمَا اقتربَ مِنَ العشّ الملكِىّ اسْتأذنهُ الوزيرُ وأخبرَهُ بأنَّ الحراسَ قَدْ عَادُوا بالمواطِنِ عُصفـورٍ، وَأنهُ يطلبُ الإذنَ بالمثُولِ بينَ يديهِ.. أمرَ الملكُ أَنْ يأذنُوا لهُ بالدخـولِ عَلى الفورِ، وَمَا إنْ وقفَ عُصفورُ أمامَ الملكِ حتَّى هبَّ واقفًا يُرحِّبُ بهِ بشدّةٍ، وعصفورُ الَّذِى ترتعدُ فرائصُهُ ينحَنِى مرّاتٍ ومراتٍ تحيَّةً واحترامًا للملكِ، وهُوَ يتوجَّسُ خِيفةً منَ السـببِ الذِى دعاهُمْ لاستدعَائهِ هكذَا عَلَى عَجَلٍ، ولكنهُ قالَ لنفسهِ يُطمئنهَا بعدَ أَنْ لاحظَ ترحيبَ الملكِ بهِ:

- اثبـتْ يَا عُصْفور.. اثبتْ يَـا رَجل.. يجبُ أَنْ أتبيّنَ لماذَا يطلبنِى الملكُ أوّلاً..؟، فلعلَّ فِى الأمرِ خيرًا - إنْ شَاء الله - وَلاَ داعِى للخوفِ والريبةِ.. تماسَكِى يا نَفْسُ فَالله خيرُ حافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِمِينَ.

- بَادرهُ الملكُ مُحدثًا ومُرحبًا بِهِ بكلّ وُدٍّ قَائِلاً:

- أهلاً بكَ أيهَا المواطنُ الطَّيب، لقدْ سَـعدتُ بلقائِكَ بعدَ أَنْ سمعتُ عنكَ كلَّ الخيرِ.



ردَّ عُصفور بسرعةٍ وَقدِ اطمأنَّ وهدأتْ نفسُه نوعًا مَا:

- العفـوُ يَا مولاى.. أهلاً ومرحبًا بكَ أطـالَ الله عمركَ وباركَ فيكَ يَا مَوْلاى، أنَا مَنْ لهُ عظيمُ الشرفِ للقائكُم والنظرِ إلَى طَلْعتكم البهيّة.. أنَا رهنُ إشارتكَ وَفِى خِدْمتك.

انحنَـى عصفورُ ثانيةً إجلالاً للملـكِ وَقدِ اختلجَ صوتُه، ولكنَّ الملكَ قاطعَهُ بقولِه:

- لا تخـْف يَـا صَدِيقى.. لقد طلبتُك للتعرُّفِ عليكَ وشـكركَ عَلَى ما تقدمُه لشعبى منْ خدمَاتٍ جَليلَةٍ.

صمتَ الملكُ بُرهةً فتشجَّع وَتماسَكْ عصفورُ ثُمَّ قالَ:

- سـامحْنى يا مولاى واعفُ عَنِّى، أقسمُ بالله وبرأسكَ الكريم أنِّى لَمْ أُضمرْ شـرًّا لمخلوقٍ قَطْ، وَمَا فعلتُه لأُسـاندَ بهِ أَصْدقائى وَجيرَانِى ومنْ يطلبُ مِنِّى المساعدةَ، كانَ بحُسنِ نيّةٍ ولوجهِ الله فَقَطْ دونَ مُقابلٍ، وأستحلِفُك باللهِ أَلاَّ تأخُذنِى بمَا أُجبرتُ وأُرغمتُ عليْهِ.

فُوجئ عصفورُ بالملكِ النسرِ يُقاطعُه بحِدَّةٍ أقلقتهُ ثُمَّ وجّه إليْهِ حديثَهُ قَائلاً:

لاَ.. لاَ.. لا تقلْ هذَا وكفاكَ تواضُعًا يَا عَزيزِى عُصفور.. أَنا لمْ أطلبْكَ إلاَّ لأَشـكركَ وَأَلتمسُ منكَ البركةَ.. وَفِى نَفْس الوقتِ لِى عندكَ رجاءٌ أَنْ تُحَققهُ لِى.

- عفوكَ يا مولاىَ طلباتِكَ تُسْعِدنى.. وَلكنىّ أريدُ أنْ أوضّح لكَ الأمرَ حتَّى لا يحدثُ مَا يُغضبكَ منىّ، فاسمعْ اعترفَاتِى أولاً يَا مولاى.

(قاطعه الملكُ بسرعَةٍ):

- يَا عَزيزى عُصفور.. أنَا لا أظنُّ بكَ إلاَّ خيرًا، فلمَاذَا كلُّ هذَا الحياءُ والتواضعُ، لقد استدعيتكَ إلىَ مجْلسِى هنَا فقطْ لِكَىْ أَستطلعَ رأيكَ ومشورتكَ إزاءَ مُشكلةٍ تُحيرّنى بَلْ وتُقلقُنِى وتُحزِنُنِى كثيرًا..

- تفضَّل يَا مولاى، أنَا طوعُ أمركَ وكُلىِّ آذانٌ صَاغِيَة.

- لقدْ لاحظتُ فِى الأيام الأَخيرةِ أَنَّ الأميرَ النسَر الصَّغيرَ، يمرُّ بحالةٍ صحيّةٍ ومعنويّةٍ ونفسيّةٍ سيئةٍ.. وهُوَ دائمُ الصمتِ مُنْطو عَلَى نفسِه لا يتحركُ كثيرًا ولا يُبارحُ عُشَّه، كمَا أَصَابه الهزالُ وَتَساقط بعضُ ريشِه الجَمِيل.. لذلكَ أرجُوك أَنْ تتحدَّث إليهِ وتُشخِّصَ حَالتَهُ وتُعَالجَه، وإنْ شاءَ الله سأحققُ لكَ مَا تهفُو نفسُك إليهِ إنْ نجحتَ فِى علاجِهِ، وسأجعلُكَ مُستشارى وَطبِيبى الخَاص.. وللعلم.. لقد أمرتُ الآن أنْ يُعَدَّ لَكَ ولعائلتكَ عُشًّا خاصًّا فخمًا رَحبًا قريبًا مِنْ هنَا و..

ردَّ عُصفور وقَدْ سَاورتهُ مخَاوفُهُ ثانيةً، خِشيةَ أَنْ يكتشفَ الملكُ أنهُ جَاهل أفّاق:

- عفوًا يا مولاَى أَنَا لاَ أسْتحقُّ كرمكُم هذَا، فأَنَا أحدُ رَعَاياك القانعينَ بحيَاتهم كمَا هِىَ، وليسَ لِى مطامعٌ فِى جَاهٍ أَوْ سُلطانٍ، وَفِى

الحقيقةِ أَنَا (رد الملكُ مُحتدًّا):

– يَـا عُصفور لا تُغضِبُنِى ولا تقلْ هذَا الـكلامَ مرةً ثانيةً.. يبدُو يَا أَخِى أنكَ لا تُعطِى نفســكَ حقَّهَا.. ولكنِّى جِدُّ مُتفائِلٍ بِكَ بلْ وأتعشَّمُ عَلَى يديــكَ كلَّ الخيرِ.. يا حرّاس.. يا حُرّاس.. أشـارَ الملكُ بطرفِ جَنَاحه وهُوَ يقولُ:

– خُذوا السـيدَ عُصفـور إلَى وَلِىِّ العهدِ النسـرِ الصغـيرِ ليتعرّفَ عليْهِ.. ثم جهّـزوا لهُ كلَّ مَـا يطلبهُ مهمَا يكلّفكُم الأمـرُ، ثُمَّ عُودوا بهِ غدًا ليُطْلِعنى عَلَى مَا يراهُ فِى هذَا الشّـأن.. هيَّا هيَّا.. تفضلْ معهُمْ يَا سيد عُصفور.

لَمْ يجدْ عصفورُ بُدًّا منْ مُسـايرةِ الملكِ للنهَايةِ، فقدْ أصبحَ التراجعُ أَوِ الرفضُ مُسْـتحيلاً، وطارَ بينَ الحُرَاس مُستسـلمًا حتَّى وصَلُوا إِلَى عُشِّ ولِىِّ العهْدِ، ثُمَّ حيّاهُ بأدبٍ وَتواضُعٍ، وجلسَ إليهِ يبادلُه أطرافَ الحديثِ بوُدٍّ دونَ تكلُّفٍ فِى مُختلفِ الموضُوعَات حتَّى يأنسَ إليْهِ وهُوَ لا يدرى ولاَ يعلمُ كيفَ وماذَا يفعلُ إزاءَ هذِه المشكلةِ بالضَّبط؟. مكثَ عصفورُ فِـى زِيَارته مدةً طويلةً وقدْ أَنِسَ الصغيرُ إليْهِ، ثُمَّ اسْـتأذنهُ بالانصـرافِ وهوَ عازمٌ عَلَى أن يعودَ ليخـبرَ الملكَ بمَا يَرَى.. وما إنْ وصلَ إلَى حضرتهِ حتَّى استقبلهُ مُرحِّبًا وهُوَ قَلِق، وَبَادره عصفورُ عَلَى الفورِ بقولهِ:

- السَّـلامُ عليكُم يَا مَوْلاى.. لقـدْ تعرّفتُ عَلَى الأمير الصَّغيرِ أطالَ الله عمـرهُ وباركَ لكَ فيهِ، لَكَم أَسْـعدنِى لقاؤهُ جدًّا فهوَ طيبٌ مهذّبٌ ودودٌ كمَا رأيتُ بنفْسِـى.. وعلىَّ الآن أنْ أُطمئنَكم بأنهُ سيكونُ بخيرٍ إنْ شَـاء الله.. فقطْ أرجوكَ أنْ تسـمحَ لِى بالانصرَافِ والعودةِ إلَى بيتِى لأفكـرَ وأتدبَّرَ الأمرَ وأسـتعدَّ لعملِ اللاَّزم، وَفِى الغدِ - إنْ شَـاء الله - سـأحضرُ لمقابلتكُم إذَا أَذِنتم لِى، وسـأُطلِعُكم عَلى مَا أراهُ فِى شَأْنه فَاطْمئن يَا مَوْلاى.. وَالآنَ.. هَلاَّ أذِنتَ لِى بالعودةِ إلى عُشـى للاطمئنانِ عَلى زوجتِى وصغارى..

هزَّ الملكُ رأسَه بالموافقةِ وودّعهُ بابتسامةٍ حُلوةٍ، وطلبَ منَ الحرّاس مُصاحَبته حتّى عشّه، وقَدْ توسّمَ فيهِ خيرًا وأملاً فِى شفاءِ الأمير، ثُمَّ طلبَ منَ الوزيرِ تعيينِ حِراسـةٍ دائمةٍ لخدمتهِ والسـهرِ عَلى راحتهِ وتلبيةِ طلباتهِ فورًا..

وصـلَ عصفور إلى أهلهِ مَهْمومًا مُتعبًا، وبادرتْهُ زوجتُه تسـألهُ فِى لَهْفـةٍ عمَّا جرَى بينهُ وبينَ الملكِ، ولَمْ يكدْ يَسْـتقرُّ عَلى حافةِ العُشِّ حتَّى انفجرَ فيهَا يصُبُّ عليهَا - حَانِقًا - جَامَّ غضبه ولعناتِهِ قائلاً:

- اصْمتِـى أيتهَا اللعينـةُ ومنَ الآن لاَ تَنْطقِى بحـرفٍ إلاَّ إذَا أذنتُ لكِ.. لقدْ خَدَعتنِى بضَلاَلاتكِ وشُروركِ، ولولاَ فضلُ الله ونيَّتى الحَسَنة وسريرتِى الطَّيبة، ونفْسِى الطاهِرَةُ لضاعَ عُمرنا جميعًا هبَاءً.. لَقَدْ طلبَ منِّى الملكُ أَنْ أجتهدَ لشـفاءِ ابنهِ المريضِ، ولَوْ كانَ الأميرُ عُصفور مِثْلِى

لهـــانَ علـــيَّ الأمرُ، ولكنْ ماذَا لوْ لمْ يُشـــفَ الأمـــيرُ أوِ ازدادتْ صِحَّتُه سُوءاً..؟ وماذَا لوِ اكْتشفُوا خَيْبتى وقِلَّةَ حِيلتِى وَجهْلِى..؟ ومَاذَا لَوْ..

قَاطعتهُ عِصفورةُ بصوتٍ رقيقٍ وَهِىَ تُحاولُ أَنْ تَهدِّئَ مِنَ روْعِهِ..

- يَـــا زَوْجى الحَبيب.. لقـــدِ انهالتْ علينَا الخـــيراتُ، وأصبحَتِ الأمورُ عَلى خَيرِ مَا يُرام، فَقط اعملْ بِمشُـــورَتى وَســـتَنْجو إنْ شَاءَ الله هَذِه المرّةُ أيضًا لأنكَ عصفورُ طَيِّب.. هيَّا لاَ تخفْ وسـأُعِدُّ لكَ الأوراقَ



وَأُحضر لكَ ثمرةَ رُمَّانٍ نَاضجةٍ لِتُلوِّنَ أرجُلكَ منهَا وتُخربشَ بهَا عَلى الورقِ كمَا فعلنَا فِى كلِّ مرةٍ.. رَدَّ عصفورُ مُتخوِّفًا:

- أخْشَى ألاَّ تسلمَ الجرّةَ كُلَّ مرّةٍ.. وقد نفشلُ ويبقَى الأميرُ عليلاً وساعتهَا سيقعُ المحظورُ.. أَلْم تفكّرِى فِى مصيركِ ومصيرِ الصِّغارِ إنْ حدثَ لِى مكروهٌ، وحتَّى إنْ لم يَأْمر الملكُ بقتلنَا، فستكونُ الفضيحةُ ونُصبحُ مِنَ المنْبُوذِينَ.. هيَّا.. هيَا نهربُ قبلَ أنْ يُحلَّ الظلامُ.. هيَّا نفرُّ مِنْ مصيرنَا المحْتُوم، وَسأسبقكُم وأطيرُ ناحيةَ الشَّرق، وابعثِى بعدِى بأكبرِ أولادنَا ثُمَّ الآخر بعدهُ وهكذَا.. ثُمَّ اجْمعِى أغراضَكِ واتبعينَا.. وأقسمُ لكِ هَذه المرّة إن لم تستجيبى لكلامِى فسأترُككِ وأهربُ.

رَدَّت عليْهِ عصفورةُ وَهِىَ تولْوِلُ صارخةً:

- لاَ.. لاَ أرجوكَ يا زوجِى العزيز انتظِرْ وَلاَ تتهوّر وَتتركنَا.. ماذَا أفعلُ وحْدِى بدونكَ..؟ أرجُوك جرِّب هَذِه المرَّةَ فقطْ، وأقسمُ لكَ أنْ نُقلعَ عنْ هذَا ولا أعملُ إلاَّ الطَّيبات ومَا يُرضى الله بعدَ ذلكَ مَا حَيِيت.

ردَّ عليهَا عُصفور بكلِّ حزم:

- انتهَى الأمرُ وسنبدأُ إنْ شئتِ حياةً جديدةً بلاَ غِشٍّ أَوْ خَداعٍ فِى مَكانٍ آخرَ، وَالآن سَأستطلعُ المكانَ لأَرى إنْ كانَ هناكَ منْ يحرسنَا أَوْ يُراقبنَا، هَيَّا اسْتعدّى.. هيَّا.

★★★

لَمْ يكـدْ عصفورُ يبتعدُ قليلاً عنْ عُشـه، حتّى أحاطتْ بِه مجموعةٌ مِنَ الصقورِ تسألهُ إلى أينَ يذهبُ، فَلديهِمْ تعليماتٌ مُشدّدة بحرَاستهِ ومُرَافقتِـهِ، ولكـنْ عليهِ ألاَّ يبتعدَ كثيرًا عنْ محـلِّ إقَامتهِ، آخ.. لَقَدْ صَدقَ حدْسُـه وحُدِّدت إقامتُه الإجباريّةُ.. وَاضطرّ للعودةِ مُسرعًا إلَى عُشِّـه وهوَ يرتجفُ، فقـدْ أدركَ أنهُ لاَ فائدةَ مِـنْ مُحاولةِ الهربِ، وَلاَ مفـرَّ أيضًا منْ إعدادِ التَّعويذةِ والذهابِ بهَا إلَى الملكِ، وإنْ كانَ منَ الأفضلِ التحدُّث وديًّا إلَى الأميرِ الصَّغيرِ، ربمَا يسـتطيعُ كشفَ أغوارِ نفسِـهِ، ولعلَّهُ ينجحُ فِي التعرُّف عَلَى سـببِ مَرَضِهِ وَاكتئابهِ.. دونَ تَعَاويـذ أَوْ أحْجبـة أو خُزَعْبَلات وخُرَافاتِ.. وعليـهِ أنْ يفكرَ جدّيًا ويبحثَ بشـكلٍ عَقلانى عمَّا ألمّ بالأميرِ مِـن مَتَاعب، يعتقدُ عصفورُ أَنَّ لهَا جذورًا نفسِـيةً أَوْ عاطفيةً بالدرجَة الأُولى، لذلكَ أخذَ يدعُو الله - مخلصًا تَائبًا - أَنْ يُنجِّيه فقطْ هَذه المرّة..

فِـى صباحِ اليومِ التَّالى أخذَ عصفـورُ التعويذةَ المزوّرةَ إلى الملكِ الذى رحَّبَ بِهِ بشـدّة، وأشارَ إلى الحرّاسِ بضرورةِ تَعْليق التَّعويذةِ بجوارِ عُشِّ الأميرِ، ثُمَّ اسـتأذنَ الملكَ للانفرادِ بالأميرِ لبعضِ الوقْتِ، وعَلَى الفورِ أمرَ الملكُ أَنْ تُلبّى لهمْ أَسْبابَ الراحةِ والهدُوء.

جلسَ عصفورُ يحاولُ كسـبَ صداقةِ الأميرِ الصَّغيرِ، وَإقَامة رَوابط مـنَ الثقةِ والعلاقَةِ الحَميمةِ بينهمـا للتعرُّفِ على ما يُعَانيهِ، وأخذَ

يَحْكى لـهُ القصصَ والحكايـاتِ المسَـلّية، ويردُّ عَلى اسْتفسَـاراته وَتسَـاؤُلاته حولَ مُختلفِ الأمورِ ، وبعدَ تلكَ الجلسَـةِ اللَّطيفةِ حيَّا عصفورُ الأميرَ الذى شَـكر لهُ حسنَ مَجْلِسِـهِ، وغادرَ المكانَ عَلى وعدٍ بالعودَةِ فِى اليوم التَّالى.

وَفى اليوم الثالثِ جاءَ عصفورُ إلَى صَدِيقه الأميرِ فِى مَوْعده، ليجدَهُ فى حالةٍ طَيِّبةٍ يتنقَّلُ بينَ فُروع الشجرِ لأوّل مرةٍ منذُ أَسَابيع، والكلُّ مبتهجٌ بهذَا التحسُّنِ السَّريع، فَرَافقهُ فِى جولةٍ تَنْشيطيّةٍ قَصيرةٍ وهمَا يتحدَّثانِ ويتداوَلان، لقدِ اكتشفَ عصفورُ أَنَّ الأميرَ يُعَانى منَ التَّدْليلِ والعنايةِ الزَّائدةِ، ومنَ الرقابةِ المستمرّةِ المملَّةِ الَّتى تكتمُ أنفاسَه بحُجَّةِ حِمَايتهِ، فهمْ لا يتركُوه لحظةً يمارسُ فيهَا حياتهُ العاديّةَ كطائرٍ مثلِ كلِّ الطيورِ منْ أقرَانهِ، ولا يدَعُون أحدًا يقتربُ منهُ أَوْ يتحدّثُ إليْهِ، وَهُوَ مَا أصَابهُ بالكسَـلِ والخمولِ بَلْ والإحباطِ، والإحساسِ بالغُربةِ والوحْدةِ المُملَّة، والوحشةِ إلى التواصلِ مَعَ الآخرينَ.

وهكـذَا وضعَ عصفورُ يدهُ على لُبّ المشـكلةِ، وعـادَ إلى الملكِ يطلبُ منـه - راجيًا - أنْ يتركُوا الأميرَ يفعلُ مَا يحلُو له، وأَنْ يعتمدَ عَلى نفسـهِ كَأَىِّ نسرٍ مِنْ أقرانهِ، فلا حراسَـةَ ولا رقابةَ عَلى تحرُّكاته، وعليهِـمْ أَنْ يتركُـوه يعملُ للحصـولِ عَلى قوتـهِ كأىِّ مواطنٍ ليزدادَ إحساسًـا بذاتيّتهِ، وهكذَا يُصبحُ نسرًا سوِيًّا قويًّا قادرًا عَلى مُجابهةِ ظروفِ الحياة بحُلوهَا ومُرِّهَا.



ابتهجَ الملكُ سـروررًا بهذهِ الأخبارِ السّعيدةِ، وأمرَ بالعملِ بمشورةِ عُصفورِ فورًا، وأنْ يجزلُوا لهُ العطايَا والهبَات وَالهدَايا، وأنْ يُحقِّقُوا لـهُ كلَّ رغباتهِ وأمنياتِـهِ مهمَا كثُرت.. وكانتْ سـعادةُ الأميرِ أكْثر وهوَ يسـتمعُ إلى نَصَائحِهِ بأنْ يجعلَ لحياتِه هدفًا وَمَعْنى، وأنْ يُشغلَ فراغَـهُ بالقراءةِ والإطِّلاَع، ولكنَّ الأميرَ أخـبرهُ بأنَّـهُ يجْهَلُ القراءةَ والكتابةَ.. وَفِى الحالِ أصدرَ الملكُ مرسـومًا بـأن تُلبّى جميعُ مطالبِ عُصفـور، وَلكنَّهُ فُوجِـئَ بهِ يُصِرُّ عَلى رفْضِ هباتِـهِ وعطَايَاه.. بينمَا يرجُـوهُ فِى نَفْس الوقتِ أنْ يسـتدعىَ أحدَ حُكمـاءِ المملكَةِ، ليعلِّمهُ وَالأمـير معـًا أصولَ القراءةِ والكتابةِ، وهنا دُهِش الملكُ وقالَ لعصفور متعجِّبًا:

– كيفَ أحضرُ لكَ مَـنْ يُعلِّمكَ القراءةَ والكتابةَ بعدَ النجاحِ الباهرِ لكتاباتكَ وتعاويذك..؟!!

هَـلْ كنتَ تخدعنَا.. أَمْ هِىَ مجردُ صُدفَـة.. أريدُ أن أعرفَ حَقيقةَ الأمرِ..؟

صمتَ عصفورُ برهةً وهو يرتجفُ – خوفًا – مِنْ غضبِ الملكِ، ولكنَّهُ تشجّعَ وقالَ..

– عِدْنى يَا مولاى أنْ توسِّـع صَدْركَ لِى حتَّى أُطلِعَك عَلى مَا عندِى، أنَا بالفعلِ لاَ أقرأُ ولاَ أكتبُ.. وهذهِ الطّلاسـُم مَا هِىَ إلاَّ (خربشـات)

لا معْنى لهَا أَجْبرتنى عَلى رسمهَا زوجَتِى الجشِـعة الكَسُولة.. فَقَدْ هدَّدتنى بتركِى وتَرْك صغارهَـا إنْ لم أحققْ لهَا مطالبهَا الرخيصَة، وبالطبعِ ليستْ لِى معجزاتٌ وَلاَ كرامَات، فكل شىء يرجعُ فقطْ للصُّدفةِ البحْتة.. لذا أعترفُ يَا مولاى بعظيم ذنبِى وجُرمِى طَائِعًا.. وأقسمُ لكَ أنِّى لمْ أُساوِمْ أو أطلبْ ثمنًا أو مقابلاً لَذلكَ.. ومن حُسنِ حَظِّى يَا مولاى وفَّقنى الله وتعرّفتُ عَلى مشـكلةِ الأمير النفسيّةِ، وأزلتُ عنهُ هُمُومَهُ ومتاعبَـه ولكنىِّ لَمْ أعَالجْهُ، فأنَا مجردُ مواطنٍ بسـيطٍ منْ رعَاياك، ولستُ طبيبًا ولا أجْرُؤُ أنْ أدّعى ذلكَ..! وَلأنىِّ واثقٌ منْ عَدلِكَ وكرمكَ فَـلاَ أطمعُ إلاَّ فِى عفـوكَ ورضَاكَ عنِّى، وأن تسـمحَ لى أن أظلَّ صديقًا وخادمًا للأميرِ حتى يَشُبَّ رشيدًا راجحَ العقلِ مثلكم أبقاكُم الله.

* * *

